الملامــح العامــة لشخصية عبد الملك بن مروان

أ.م.د. أدهام فاضل خطاب
الجامعة الموصل / كلية التربية الأساسية

تاريخ تسليم البحث : 2004/7/22 ؛ تاريخ قبول النشر : 2004/10/18

ملخص البحث :

يتناول البحث دراسة بعض الملامح العامة لشخصية خليفة من الخلفاء العظام في الاسلام والذي قدر ان يكون عهده مليئاً بالمشاكل والفتن والحركات المضادة التي ارادت النيل من وحدة الامة الاسلامية ، فاستطاع هذا الخليفة بما عرف عنه من قوة الارادة والثبات والشدة والحزم والشجاعة ان ينقذ الامة من حالة التشرذم إلى بر الامان والوحدة حتى استحق ان ينال مرتبة الساسة الكبار في التاريخ الاسلامي . وكان لشخصيته المتميزة دور في تحقيق الكثير من الاعمال على كافة الاصعدة السياسية والادارية والاقتصادية والفكرية .

The General Aspects of Kalif Abdul Malik bin Marwan Character

Dr. Idham Fadhil Khatab
Mosul University\College of Basic Education

Abstract:

The caliph Abdul Malik bin Marwan acquired a number of characteristics of his personality by his environment of both political and religious. He was familiarized in his life with tremendous events which affected the formation of his political and intellectual character.

He was a first degree man in the state because the leadership, administrative and intellectual capacitated dangers and circumstances of his era which aimed at threatening the state unity. He was admired by the scholars and philosophers who were regarded as his contemporaries because of his scientific capacities and his religious education that made him to be regarded as one of those scholars and philologists of his age.

المقدمة

تحتل دراسة الملامح العامة للشخصيات الاسلامية مساحة واسعة من اهتمام الباحثين قديما وحديثا ، ودراسة شخصية عبد الملك بن مروان ، رغم الدراسات العديدة التي حظيت بها ، فان ثمة فجوات تبقى بحاجة الى الدراسة والتقصي ، لكون عبد الملك بن مروان عندما تولى خلافة المسلمين كانت الدولة في وضع في غاية الصعوبة والخطورة ، بعد الفتن التي المت بالامة والتي نالت من وحدتها وعليه فاننا راينا من الضروري دراسة هذه الشخصية العربية الاسلامية من خلال بعض محاور هذا البحث التي سلطت الضوء على سيرة عبد الملك قبل الخلافة ، والتي تعتبر فترة بناء ونضوج لشخصيته اذ عاصر فيها بعض الاحداث الهامة التي وقعت في الدولة الاسلامية ، حيث اخذ منها الدروس والعبر ، كما تناول البحث علاقة عبد الملك بالسلطة وتوليه بعض المهام الادارية في الدولة أهلته لتولي مسؤولية قيادة الامة .

ثم تناول البحث علاقته واتصالاته قبل الخلافة وبعدها بنخبة من العلماء والفقهاء الذين عاشوا في زمانه ، وتطرق البحث ايضا الى اهتمامات عبد الملك الدينية سواء اكان قبل الخلافة او بعدها حتى نال صفة حمامة المسجد لانهماكه في العبادة ، واخيرا يتناول البحث بعض الميزات السياسية لشخصيته وليس كلها والتي جعلت منه احد الساسة الثلاث المشهورين من بين خلفاء بني امية (معاوية بن ابي سفيان ، وعبد الملك ، وابنه هشام) تمكن بحسن تحمله للمسؤولية انقاذ الامة من التفكك واعاد اليها وحدتها تحت راية الإسلام .

اولاً . سيرته قبل الخلافة :

هو عبد الملك بن مروان بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[1] وامه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن عبد مناف بن قصي . وكانت كنيته ابا الوليد بأسم اكبر اولاده المفضلين لديه واول خليفة من بعده[2].

ومن المعروف ان الخلفاء الامويين قبل عبد الملك بن مروان وبعده لم تكن لهم القاب رسمية ، كما هو الحال بالنسبة للخلفاء العباسيين ، وكان عبد الملك يلقب بـ (أبي الملوك) لان اربعة من اولاده تولوا الخلافة بعده ، وكان معظم الخلفاء الأمويين من ذريته .

تذكر بعض الروايات[3] بانه ولد سنة (23هـ/643م) ، وتذكر روايات اخرى[4] ان ولادته كانت سنة (26هـ/646م) . اما الشهر فتجمع الروايات على انه رمضان دون اعطاء يوم محدد . ويذكر بان ولادته كانت في دار ابيه مروان بن الحكم في المدينة[5].

اما وفاته فتجمع المصادر انها كانت في شوال عام 86هـ/تشرين الاول (705م)[6] ، وبذلك يكون قد حكم احدى وعشرين سنة تقريبا .

كان لعبد الملك بن مروان اولاد ، هم : (الوليد ، سليمان ، مروان الاكبر ، عائشة) أمهم ولادة بنت العباس بن جزء العبسية ، و(يزيد ، مروان ، معاوية ، ام كلثوم) وامهم عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ومنهم (هشام) وامه عائشة بنت اسماعيل بن هشام ابن الوليد المخزوميه ومنهم (ابو بكر) وهو بكار امه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله، ومنهم (الحكم) امه بنت عمرو بن عثمان بن عفان ، ومنهم (فاطمة بنت عبد الملك) امها بنت المغيرة بن خالد بن العاص ومنهم (عبد الله ، مسلمة ، المنذر ، عنبة ، محمد ، سعيد الخير ، الحجاج) . وكان له من النساء شقراء بنت مسلم بن حلبس امها ابنة عبد الله بن جعفر بن ابي طالب[7].

اما اوصاف عبد الملك بن مروان فاختلف الرواة فيها ، قيل بانه كان آدم (اسمراً) جميلا اقنى كأنه من رجال ثمود ، طويلاً أعين دقيق الوجه ، وكان ربعة من الرجال ، وكان اقوه مفتوح الفم ، ليس بالنحيف ولا البادن ، مقرون الحاجبين ، اشهل كبير العينيين دقيق الانف ، طويل اللحية ، وكانت أسنانه مشبكة بالذهب يرتدي عمامة سوداء[8].

نشأ عبد الملك بن مروان في عائلة عريقة من قريش ، كبيرة الشأن ، وكان والده مروان بن الحكم شيخ وكبير قريش وسيدها[9]حتى وصف بانه كان "ابو عشيرة واخو عشيرة وعم عشيرة[10]. وكان من المقربين من الخليفة عثمان بن عفان ﴿رضي الله عنه﴾ اذ جعله الاخير كاتبه ومستشاره[11]. اما حالته الاجتماعية فقد امتازت باليسر والغنى اذ تذكر بعض المصادر بان لعبد الملك املاك ، فقد كان له ولابيه مروان دورٌ في المدينة بذي خشب منذ ولاية ابيه عليها، كان ينزل فيها اثناء حجه [12]. واصطفى عبد الملك بن مروان لنفسه داراً لعبد الله بن الزبير تقع في سوق وردان في القسطاط[13]. وكان لعبد الملك ايضا اراضي في الحجاز اقتطعها له الخليفة يزيد بن معاوية[14]. واتخذ عبد الملك لنفسه ولابنه هشام قرية تدعى سلعوس واخرى تدعى كفر حدا[15].

ثانياً . علاقته بالسلطة قبل الخلافة :

شهد عبد الملك بن مروان قبل توليه الخلافة ، بعض الاحداث فقد كان صغيراً عندما حوصرت دار الخليفة عثمان بن عفان ﴿رضي الله عنه﴾ ومقتله بالمدينة[16]. وقد كان لهذا الحادث اثر كبير في نفسه كما يبدو فيما بعد من عدم ارتياحه من موقف اهل المدينة تجاه هذا الحادث ، جاء ذلك في خطبة له بالمدينة قائلا : "لست بالخليفة المستضعف – يعني عثمان – ولا الخليفة المداهن – يعني معاوية – ... الا واني اداوي هذه الامة بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم..."[17].

وفي عهد معاوية بن ابي سفيان (41–60هـ) ، تقلد عبد الملك بن مروان بعض المناصب الادارية ، فقد خلف زيد بن ثابت بوصفه كاتبا على ديوان المدينة بعد وفاة الاخير[18]. وفي عام (42هـ/662م) كان عبد الملك على راس جيش اهل المدينة في الحملة البحرية ضد

البيزنطيين وكان عمره بحدود ست عشرة سنة[19]. وفي عهد يزيد بن معاوية (60-64هـ) شهد عبد الملك بن مروان بعض الاحداث السياسية ففي عام (61هـ/680م) عندما حاول يزيد بن معاوية "مصالحة عبد الله بن الزبير واهل الحجاز" ارسل وفدا برئاسة ابن عضاة الاشعري ، وفي طريقهم إلى مكة مرو بالمدينة ، فارسل مروان بن الحكم ابنيه عبد الملك وعبد العزيز بصحبتم ، وقد تمثل عبد الملك واخوه – بناءً على توجيه والدهما – ابيات من الشعر امام ابن الزبير يحثانه ان يكون اكثر حزماً وان لا يلين لمطالب يزيد بن معاوية[20].

يبدو ان مناصرة مروان بن الحكم لابن الزبير نابعة من استيائه من نظام الوراثة في ولاية العهد الذي اوجدها معاوية بن ابي سفيان ، لهذا كان مروان يميل إلى حركة ابن الزبير ضد يزيد بن معاوية[21]. وعندما لم تنجح مفاوضات يزيد بن معاوية مع ابن الزبير واهل الحجاز واخرج اهل المدينة الامويون منها ، وكان عبد الملك بن مروان من الخارجين منها مع والده فاتجها نحو الشام[22]. وفي طريق العودة التقيا بالجيش الذي بعثه يزيد بن معاوية ضد ابن الزبير بقيادة مسلم بن عقبة المري ، فانضم عبد الملك مع والده إلى ذلك الجيش ورجعا إلى المدينة معه ، وعندما طلب مسلم معلومات عن المدينة زوده بها عبد الملك بصورة دقيقة حتى نال بها عبد الملك اعجابه وتقديره ، فقال لعبد الملك :"لله ابوك أي امرؤ ولد اذ ولدك ، لقد راى بك خلفاً"[23].

واعقب ذلك معركة الحرة في ذي الحجة 63هـ/اب 682م التي انتهت بانتصار مسلم وجيشه وهزيمة اهل المدينة [24]. بعد هذه المعركة ، لم تفلح محاولات ابن الزبير في ابقاء عبد الملك ووالده في المدينة ، بل توجها إلى دمشق وسط اجواء صعبة ، وتولى معاوية بن يزيد الخلافة 64هـ/683م ، كما اشتركا في المداولات التي جرت بعد تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة وكان عمره انذاك بحدود الاربعين ، وكان قدومه الشام عام 64هـ/684م[25].

وعندما تولى والده مروان بن الحكم الخلافة (64-65هـ) ، تقلد عبد الملك بن مروان بعض المهام الادارية – شكلياً على الاقل – فقد عين واليا على فلسطين ولكنه بقي في دمشق وارسل نائباً عنه هناك هو روح بن زبناع الجذامي[26]. وفي عام 65هـ/684م عندما غادر مروان دمشق على راس جيش ، لاسترجاع مصر من سيطرة ابن الزبير ، جعل من عبد الملك نائباً عنه في العاصمة [27].

ان جميع هذه الاشارات إلى المهام والمناصب التي تقلدها عبد الملك بن مروان قبل توليه الخلافة ، تعكس بصورة واضحة أن اختياره لمنصب الخلافة ، من بين اخوته ، كان اختياراً موفقا بسبب كفاءته السياسية ومعرفته بشؤون الدولة وادارتها .

عهد مروان بن الحكم ؛ قبل وفاته (65هـ/684م) إلى ابنه عبد الملك ومن ثم عبد العزيز ، خليفة من بعده ، وكان هذا الاجراء خروجا عن اتفاقية الجابية[28]. اصبح نافذ المفعول

بمساعدة الرئيس بني كلب مالك بن بحدل[29]وبايع الناس هذين الرجلين ، ويبدو ان مروان ، رأى في هذا الاجراء ، أسلم طريقة لابقاء الخلافة في اسرته ، ولوضع حد للمنافسة بين الطموحين (وما اكثرهم) للخلافة من بين افراد البيت الاموي نفسه[30].واجمعت المصادر، ان عبد الملك ، تولى الخلافة في رمضان عام 65هـ/نيسان 685م[31].

ثالثاً . اتصاله بعلماء عصره :

كان الخليفة عبد الملك بن مروان مثقفا وذا المام واسع باللغة العربية ، اذ شهد له بذلك اهل اللغة ، اذ قالوا بانه لم يلحن لا في جِدّه ولا في هزله ، وهذا ان دل على شيء ؛ فانما يدل على تمكنه من ناصية اللغة العربية وعلومها التي لا تتأتى الا لمن أتاه الله ، بسطة في العقل وملكة في الادب ، فقد شهد له شيخ العربية الاصمعي بهذه الصفة قائلا : "اربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : عامر الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف ، وابن القرية[32] .

كان لعبد الملك بن مروان علاقة وطيدة بالعلماء اذ برهن على ذلك من خلال بعض اقواله وافعاله وتصرفاته تجاه هذه الشريحة المثقفة من المجتمع الاسلامي ، فمن اقواله : "ثلاثة لا ينبغي للعاقل ان يستخف بهم العلماء والسلطان والاخوان ... فمن استخف بالعلماء افسد دينه..."[33] . وكان عبد الملك بن مروان يجالس العلماء والفقهاء والعباد والصلحاء[34] . كما كان على علاقة وثيقة مع بعض اصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، فيذكر بانه اتصل مثلا بـ (بريدة بن الخصيب)[*] يوما فقال له بريدة : "ياعبد الملك فيك خصالا وانك لجدير ان تلي امر هذه الأمة"[35] .

وكان عبد الملك بن مروان يجالس علماء عصره ويناقشهم ، امثال عروة بن الزبير[*] وقبيصة بن ذؤيب وجابر بن عبد الله بن عمرو الانصاري ومحمد بن شهاب الزهري ويسال كبار عن اخبار العرب وايامهم[36] .

ويروي المسعودي ، عن شغف عبد الملك بن مروان الاتصال بالعلماء إنه لما "أفضت اليه الخلافة تاقت نفسه الى محادثة الرجال والاشراف على اخبار الناس فلم يجد من يصلح لمنادمته غير عامر الشعبي فلما نادمه وحظي عنده قال له : "يا شعبي لا تساعدني على ما قبح ولا ترد علي الخطأ في مجلس ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية" [37] . وقد وصف عامر الشعبي عبد الملك بن مروان بقوله : "ما ذاكرت احدا الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان ، فاني ما ذاكرته حديثا الا وزادني فيه ولا شعرا الا وزاد فيه" [38] .

وكان عبد الملك بن مروان يبدي اهتماماً وتقديراً واحتراماً لمجالس العلماء ، اذ ذكر عنه عامر الشعبي بهذا الصدد قائلا : "والله ما علمته الا اخذا بثلاث تاركاً لثلاث : اخذ بحسن الحديث اذا حدّث وبحسن الاستماع اذا حُدث ، وبترك الجدال اذا خولف وبإظهار البشر اذا لقي

، تاركا لحلة الظنين في دينه وملاحاة الغلو خوفا لشدته وللدخول فيما لا يعنيه هذا مع حلم وعلم"[39] . ومن لقاء اخر لعامر الشعبي في مجلس مع عبد الملك بن مروان يذكر بانه بدا الحديث بحضور الخليفة مشيداً بسعة اطلاعه العلمي قائلاً : "فما ابتدأت بشيء من الحديث الا استلبه مني فحدث به ، وربما زاد فيه على ما عندي ولا انشدت شعرا الا فعل مثل ذلك ....". ويذكر بان عبد الملك بن مروان ارد ان يبين للشعبي في هذا المكان ، انه تمكن ان يجمع بين السياسة والعلم وجمع الشعبي بالعلم فقط فأردف قائلا : ".... اردت ان اعرفك انا فزنا بالملك وشاركنا فيما انت فيه . يقصد العلم – ثم امر له بمال"[40] .

ومما يدل على تعلق الخليفة عبد الملك بن مروان الشديد بالشعبي ، انه عندما علم اخوه عبد العزيز بن مروان والي مصر ما بلغه من براعة الشعبي وعقله وطيب مجالسته فطلب من عبد الملك بن مروان ان يبعث به اليه مع كتاب جاء فيه : "اني اثرتك به على نفسي فلا يلبث عندك الا شهرا او نحو شهر" ثم رده الى عبد الملك بعد اربعين يوما [41] .

وعندما هرب عامر الشعبي خوفا من ملاحقة الحجاج بن يوسف والي العراق – بسبب انضمامه الى حركة عبد الرحمن بن الاشعث – حتى وصل خراسان كتب عبد الملك إلى الوالي إرساله إلى دار الخلافة[42] .

وكان عبد الملك يدخل في حوار ونقاش مع عامر الشعبي عندما كان يحضر مجالسه العلمية فقد سال عبد الملك يوما الشعبي عن اتجاه مهب الرياح ، فاجابه بانه لا علم له بذلك فاجابه عبد الملك على ذلك قائلا : "ان مهب الشمال من مطلع بنات نعش الى مطلع الشمس ، اما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مطلع سهيل ، اما الجنوب فمن سهيل الى مغرب الشمس ، واما الدبور فمن مطلع الشمس الى مطلع بنات نعش" [43] .

ومما يشير الى اهتمام ورعاية عبد الملك بن مروان للعلماء ، انه كان يفرض العطاء للبعض منهم وان لم يكن من رجال الحرب ، فقد فرض مثلا لعامر الشعبي بألفين درهم في العطاء وجعل عشرين من ولده واهل بيته في الفين الفين من اجل حديث حدثه اياه[44] :

وعندما دخل جابر بن عبد الله الانصاري[*] يوما على عبد الملك بن مروان في المدينة وتناقش معه في بعض المسائل الدينية وبحضور قبيصة بن ذؤيب ولم يدعه يخرج الا وعنده خمسة الاف درهم[45] .

وقد كان هذا الفقيه الانصاري محط احترامه وتقديره ، يرحب به كثيرا في مجالسه وكان على اتصال مستمر به[46] .

كان عبد الملك يلتقي أيضاً بالفقيه محمد بن سلم بن شهاب الزهري ، فقد التقى به مرة مع جماعة من اهل المدينة ، وكان الزهري اصغرهم سنا ، فذكره عبد الملك بموالاة ابيه وعمه لعبد الله بن الزبير ، فالتمس الزهري العفو ، وساله عبد الملك بن مروان عن نشاته وعمَّ طلب

العلم منهم ، فأجابه الزهري عند ابن يسار وقبيصة بن ذؤيب(*) وسعيد بن المسيب، فقال له : "واين كنت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تدركه الدلاء"(47) . وقد ذكر ان عروة بن الزبير كان صديقا ومجالسا ومقربا لعبد الملك بن مروان ايام تنسكه في مسجد المدينة (48). وتذكر المصادر حمايته من بطش الحجاج بعد مقتل اخيه عبد الله بن الزبير ، فعندما خرج عروة بن الزبير الى عبد الملك بعد مقتل اخيه عبد الله بن الزبير – خوفا من نقمة الحجاج بن يوسف الذي اتهمه بانه اخذ مالا من بيت المال وهرب . كتب عبد الملك الى الحجاج ليعلمه بان عروة لم يهرب وانما اتاه مبايعا . وقد منحته الامان وعفوت عنه وانه قادم اليك فاكرمه وتجاوز عنه(49) . وكذلك كان عبد الملك بن مروان على اتصال بالفقيه عطاء بن ابي رباح . ففي احدى سنوات حج الخليفة دخل على عبد الملك بن مروان وهو جالس وحوله الاشراف من اهل المدينة ، فرحب به فاجلسه معه على سريره اكراما له ، وساله عن حاجته فقال له عطاء : ياامير المؤمنين اتق الله في حرم الله ورسوله ، واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار .... واتقي الله في اهل الثغور ... وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنها ... فقال له عبد الملك: "سالتنا حوائج غيرك فقد قضيناها فما حاجتك ؟ فاجاب : مالي إلى مخلوق حاجة ، ثم خرج فقال عبد الملك : "هذا وابيك الشرف هذا وابيك السؤدد"(50) .

وكان عبد الملك بن مروان يراعي ويمنع الحاق الاذى بالعلماء من قبل قواده وولاته (كما ذكرنا تصرفه بشان عروة بن الزبير) فعندما تعرض الحجاج بن يوسف الثقفي لأنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، المحدث المشهور ، ووضع على رقبته علامة من الرصاص(51) وعلم بذلك عبد الملك بن مروان ، كتب الى الحجاج قائلا : "ابلغ من جراتك على امير المؤمنين ان تعنت بأنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ست سنين يطلعه على سره ... فاذا ، اتاك كتابي هذا فأمش اليه على قدميك حتى تاخذ كتابه الي بالرضى .." (52)

وتصرف عبد الملك بن مروان بالنهج نفسه عندما اقدم والي المدينة . هشام بن اسماعيل المخزومي . على معاقبة الفقيه سعيد بن المسيب لأمتناعه عن مبايعة الوليد بن عبد الملك وعندما بلغ الخبر عبد الملك ، استنكر تصرف الوالي وكتب اليه بان "سعيد بن المسيب ليس عنده شقاق ولا خلاف"(53) .

ومما يدل على حب عبد الملك بن مروان ، الاتصال بالعلماء ، انه كان يحضر الحلقات العلمية التي كانت تعقد في المساجد والتي اعتاد حضورها فعلى سبيل المثال حضوره لحلقات ام الدرداء في المسجد حتى بعد ان اصبح خليفة ، وقد كانت ام الدرداء(*) قد خاطبت عبد الملك في احدى تلك الحلقات بقولها : "ما رايت احسن منك محدثا ولا اعلم مثلك مستمعا"(54).

ويروى ايضا ان عبد الملك بن مروان كان في ايام موسم الحج ، يجلس في ظل الكعبة ويحضر مجلسه نخبة من العلماء ، فقد حضر احدى تلك المجالس كل من عروة بن الزبير

وقبيصة بن ذؤيب ، فكانوا يخوضون في مختلف فروع العلم . فيذكر مالك بن عمارة اللخمي الذي حضر تلك المجلس قائلا :"فكنت لا اجد منهم ما اجده عند الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم ، والفصاحة والبلاغة وحسن استماعه اذا حُدِّث وحلاوة لفظه اذا حُدِّث"[55] .

ومما يشير ايضا الى متانة العلاقة التي كانت تربط عبد الملك بن مروان بالعلماء والمحدثين انه استعان بالبعض منهم في تسيير امور الدولة فكان على قضاء دمشق ابو ادريس الخولاني – اسمه عائذ الله بن عبد الله –[56] . ومن مستشاريه المقربين روح بن زنباع[*] الذي نال اعجابه وكان كثيرا ما يشيد بقابلياته العلمية : "من اعطي مثل ما اعطي ابو زرعة ، اعطي فقه الحجاز ، ودهاء اهل العراق ، وطاعة اهل الشام[57] . وكان يقول له : "انت منا"[58] . كما كان الفقيه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي رضيع عبد الملك بن مروان وصاحب سكته وخاتمه ومشورته[59] . وموضع ثقته ، فكانت تاتيه الاخبار قبل عبد الملك بن مروان فيقرأ الكتب قبله ثم ياتي بها منشورة الى عبد الملك بن مروان فيقراها تعظيماً لقبيصة[60] .

وكان الفقيه رجاء بن حيوة الكندي[*] الرجل الصالح من المقربين لعبد الملك بن مروان وصاحب جاه عنده[61] . وقد لعب دوراً كبيراً ابان تولي عمر بن العزيز الخلافة[62] .

ومما يؤكد ان عبد الملك بن مروان كان يمتلك ثقافة رفيعة . انه حرص ان يعهد تربية اولاده الى من يربيهم تربية عربية اسلامية [63] . فكان يستعين بخيرة العلماء لتولي مهمة تعليمهم وتاديبهم ، فقد اختار اسماعيل بن ابي المهاجر – مولى بني مخزوم – الذي امتاز بحسن السيرة وهو من صالحي المسلمين – لتولي تاديب اولاده . فقد اوصى عبد الملك بن مروان مؤدب اولاده اسماعيل بن ماجر قائلا : "علم بني القران وخذهم بمكارم الاخلاق ... ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه ..."[64] .

رابعاً. اهتماماته الدينية :

نشأ عبد الملك بن مروان نشأة اسلامية مغايرة لنشأة سلفه من الخلفاء الامويين ، فقد ولد في الاسلام وتربى عليه ، فضلا عن ان ميلاده كان في مدينة الرسول ﷺ وفيها كان التراث النبوي . ففي بيئة الاسلام هذه شب عبد الملك على العبادة واهتم بالاتصال بطائفة من العلماء والفقهاء ، وقد اجهد نفسه في هذه البيئة في الدراسات الدينية لهذا عد من العلماء والفقهاء[65] . وقد اشارت معظم المصادر التاريخية الى ان عبد الملك بن مروان كان متدينا منذ نشاته مسلما صحيح الاسلام ، شديد الحرص على امور دينه[66] .

كان في البيئة التي نشا فيها عبد الملك بن مروان ، مناخان : الاول دراسة القران الكريم والحديث والثاني الشعر والغناء والموسيقى ، وقد اختار عبد الملك بن مروان الاتجاه الاول لهذا

نشا وتعلم في محيط ديني [67] . وهنالك الكثير من الروايات التي تؤكد المنحى الديني لشخصية عبد الملك بن مروان قبل الخلافة وبعدها ، فقد روى عن نافع انه قال: "لقد رايت المدينة وما فيها شاب اشد تشميرا ولا افقه ولا انسك ولا اقرا لكتاب الله من عبد الملك بن مروان" [68] . وقيل : " ولا اطلب للعلم منه واحسبه قال : ولا اشد اجتهادا"[69] وعد في رواية اخرى واحدا من المحدثين الذين رووا عن عثمان بن عفان وابو هريرة وابو سعيد الخدري واخرين [70] وقيل ايضا انه كان قبل توليه الخلافة منهمكا جدا في الصلاة وتلاوة القران في مسجد المدينة حتى لقب بـ "حمامة المسجد"[71] وعد من العباد والزهاد والملازمين للمسجد والتاليف للقران[72] . وكان "عابدا ناسكا قبل الخلافة"[73] . ويصف ابن قتيبة مقدار اهتمامه بالدين قائلا : "كان معروفا بالصدق مشهورا بالفضل والعلم لا يختلف في دينه ولا ينازع في ورعه"[74] . ويذكر انه كان في عداد المشهورين من فقهاء المدينة الاربعة: سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان[75] .

وكان عبد الملك بن مروان كثير العبادة في المسجد فقد روى مالك : سمعت يحيى بن سعيد يقول : "من صلى في المسجد ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه ، كانوا اذا صلى الامام الظهر اقاموا فصلوا الى العصر"[76] . وكان نقش خاتم عبد الملك بن مروان : "امنت بالله مخلصا"[77] .

ويقال بانه من منطلق الورع والتقوى لم يرافق والده مروان بن الحكم في معركة (مرج راهط)[78] 64هـ /683م[79] : بدليل عدم ورود ذكر اسمه في هذه المعركة بينما يتردد ذكر اخيه عبد العزيز احيانا[80] .

ومما يدلل على اهتمامته الدينية انه كان يحث الناس على قراءة القران والالتزام بما جاء فيه من الفرائض ففي خطبة له في المدينة قال فيها : "وقد سالت علينا احاديث من كل هذا المشرق ، ولا نعرفها ولا نعرف منها الا قراءة القران فالتزموا بما في مصحفكم الذي جمعكم عليه الامام المظلوم – يعني عثمان – وعليكم بالفرائض التي جمعكم عليها ..."[81] .

وفي ضوء هذه الخطبة يتبين ان هنالك حثاً من قبل الخليفة للتحقق من الاحاديث النبوية والتي افضت بدورها الى المرحلة التالية وهي مرحلة جمع الحديث .

كما نلمس روح الاهتمام والاثر الديني بشكل واضح في تصرفات ووصايا عبد الملك بن مروان من خلال دراسة توجيهاته الى الذين تولوا تاديب اولاده منها ما قاله لأحدهم : "علمهم كتاب الله حتى يحفظوه وفقهم على ما بين الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه..."[82].

يبدو ان عبد الملك بن مروان كان يحاول ويتمنى ان ينشا اولاده مهتمين اهتمامه هو بالقران الكريم والسنة النبوية ، وكان يريد منهم ان يفضلوها على غيرها من الكتب ، فيروى بان عبد الملك بن مروان عندما وجد اخبار مغازي الرسول ﷺ بشكل كتاب لدى بعض ولده

نصحهم بتركها جميعا والتركيز على قراءة القران ودراسة السنة النبوية لكي يعملوا بموجبها[83] . ومن شدة اهتمامه بالعبادة والتقوى انه كان يوصي اولاده الالتزام بها، فعندما اشتد به المرض قبل وفاته دعا اولاده وقال لهم : "يابني اوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية ..."[84] . ويروى عن ورعه وتقواه ايضا انه كتب وصية زياد بن ابيه وامر الناس بحفظها وتدبر معانيها : "ان الدنيا دار فناء ، ولا سبيل الى بقائها ولا بد من لقاء الله ، فاحذركم الله الذي حذركم نفسه واوصيكم بتعجيل ما اخرتموه قبل ان تصيروا الى الدار التي صاروا اليها فلا تقدرون على توبة ..."[85] .

وكانت الدولة في عصر بني امية تمتحن بالقران الكريم والسنة النبوية والمعارف المتصلة بها ، ارباب الوظائف واصحاب المناصب والولايات ، فيروى ان عبد الملك بن مروان سأل يوما محمد بن محمد الزهري ، ان كان قد قرأ القران بأعرابه ، وما ينبغي فيه من وجوهه وعلله ، وعندما يتقن عبد الملك ذلك من ابي الزهري امر له بجائزة وحثه وشجعه على متابعة طلب العلم[86] .

يبدو من كل هذه الروايات ان عبد الملك بن مروان لم يفقد اهتمامه بالامور الدينية والمسائل الفقهية عندما اصبح خليفة ، بل واصل اهتمامه بالعلماء وبقي على اتصال وثيق بالفقهاء ورجال الدين على عكس ما يتهمه به خصومه[87] .

فعبد الملك بن مروان عندما تولى الخلافة ، احاط نفسه بنخبة من العلماء والفقهاء امثال قبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير ورجاء بن حيوة الكندي وعامر بن شرحبيل الشعبي وغيرهم . وكان يدخل في مراسلات مع البعض منهم اذا ما اقتضت الحاجة الى ذلك في حل بعض المعضلات والمسائل الفقهية ، فدخل مثلا في مراسلات مع الحسن بن ابي الحسن البصري – اشهر فقهاء عصره – حول بعض المسائل الفقهية منها مسالة القدر وحرية الاختيار [88] .

واقدم عبد الملك بن مروان على خطوة اخرى اراد من خلالها اظهار الاسلام وصوغ الدولة بالصيغة الاسلامية[89] ، هو انه اول خليفة اموي يقدم على ضرب الدراهم والدنانير العربية الاسلامية عام 74–76هـ ووضع عليها الشعار الاسلامي القائم على الوحدانية "قل هو الله احد" مع ذكر النبي ﴿ﷺ﴾ [90] .

ومن اعماله الاخرى ، التي نلمس الاثر الديني في بعض جوانب سياسته ، انه عندما استقر له الحكم في دار الخلافة ببلاد الشام ، توجه اهتمامه إلى سياسة الفتوحات الاسلامية فأستأنف الحرب مع الدولة البيزنطية وذلك باعلان الجهاد ضدهم سنويا تقريبا[91] . وقد حقق بذلك هدفين في ان واحد ، فقد انجز احدى واجبات الخليفة الدينية المهمة في نظر المسلمين من جهة ، واعطى الجيش الشامي تدربيا عسكريا يكاد يكون مستمرا من جهة اخرى ، كما قام بمحاربة المرتدين في عهده ، فقد لاحق الحارث الكذاب الذي ادعى النبوة[92] .

ومن اهتماماته الدينية ، انه اول من رفع يديه على المنبر واول من احدث الاذان في عيدي الفطر والاضحى[93] . كما كان عبد الملك بن مروان ومن منطلق اهتماماته الدينية ، يحاول ارضاء ال بيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ ويعمل على كسب رضى من بقي منهم في عهده ، فكان يرفع من منزلة الحسين بن علي بن ابي طالب امام الناس بقوله:"ان علي بن الحسين يتشرف من حيث يتصنع الناس" [94] . وعندما بايعه محمد بن علي بن ابي طالب بالخلافة اعطاه الامان ، وكتب الى الحجاج بن يوسف . واليه على المدينة . قائلا : "جنبني دماء ال ابي طالب ، فليس فيها شفاء من الحرب ، واني رايت ال حرب سلب ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي" [95] .

ومن اهتمامات عبد الملك بن مروان الدينية قيامه باداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام ، فقد حج عام (75هـ/694م) بعد مقتل عبد الله بن الزبير وسيطرة واليه الحجاج بن يوسف على الحجاز[96] كي يثبت شرعية خلافته من جهة ويحسن العلاقة السياسية مع اهل الحجاز بعد احداث عام (73هـ/692م)[97] . وكان يحرص اثناء الحج على اداء المناسك بشكل كامل ، فعندما حج ووصل المدينة احرم من ذي الحليفة ، ودخل وهو يلبي ودخل المسجد النبوي وهو يلبي وخطب في الناس اربعة ايام في كل يوم خطبة وصلى المغرب عشيه يوم عرفة قبل ان يصير إلى جمع [98] . وكان يقتدي بالرسول ﴿ﷺ﴾ ويفعل ما كان يفعله اثناء حجه [99] . ومن حرصه على اداء كل مناسك الحج بدقة كان يستشير بعض الفقهاء في البعض منها منهم قبيصة بن ذؤيب والحارث بن عبد الله قبل الاحرام والدعاء والتعوذ بالكعبة والعودة إلى الركن الاسود قبل الخروج إلى الصفا والمروة والجمع بين صلاة المغرب والعشاء [100] . وكان عبد الملك يرسل سنوياً في موسم الحج من يكسو الكعبة بالديباج فيمر بالمدينة فينشر يوما في مسجد الرسول﴿ﷺ﴾ على الاساطين ثم يرسل الى مكة مع الطيب[101]. كما قام عبد الملك بتوسيع المسجد الحرام في مكة وادخل جزءا من دار الندوة فيه[102].

وفي احدى المرات التي ادى فيها عبد الملك بن مروان "فريضة الحج" ارسل الى اكبر شيخ من خزاعة واخر من قريش وثالث من بني تميم وامرهم بتحديد (انصاب) الحرم متبعا في ذلك سنة الرسول ﴿ﷺ﴾ وعمر بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾ وعثمان بن عفان ﴿رضي الله عنه﴾ ومعاوية بن ابي سفيان[103] . كما امر عبد الملك الحجاج بن يوسف بعد القضاء على حركة عبد الله بن الزبير باعادة بناء الكعبة اثر الاضرار التي لحقت بها اثناء القتال مع ابن الزبير[104] .

ومن اهتمامات عبد الملك الدينية العمرانية ، قيامه ببناء قبة الصخرة ، فليس هناك شك انه كان بانيها ، وان محاولة نسب بنائها الى الخليفة المأمون العباسي ، لم تستطع اخفاء ذلك اذ تاريخ بنائها بقي بعيدا (66هـ / 685م) عن التحريف ليثبت ان عبد الملك بن مروان هو بانيها الحقيقي والذي استمر العمل فيه من (66-72هـ/685-691م)[105] ويقال بانه انفق في بنائها ما

يعادل خراج مصر لسبعة سنين وزينت القبة بالذهب [106] . ويفهم في رواية المقدسي ان عبد الملك اراد ان يضاهي بهذا العمل العمراني ، روعة الكنائس في القدس وخاصة كنيسة القيامة واثرها على نفسية المسلمين[107] . وبهذا العمل استطاع عبد الملك بن مروان ، ان يثبت انه هو حامي حمى الاسلام الحقيقي[108] .

كما قام عبد الملك بن مروان في سبيل توسيع مجد الاسلام واعلائه بأنشاء بنايات في بلاد الشام يظهر فيها محاولته ضم كنيسة القديس يوحنا المعمدان الى المسجد المجاور لها[109].

وعلى الرغم من فشل المحاولة ، الا ان هذه بلا شك اكسبته تاييد المتدينين وزادت من شعبيته في العالم الاسلامي [110] . واهتم عبد الملك بن مروان وابنه الوليد من بعده بتسهيل مهمة وصول الحجاج الى بيت المقدس عن طريق العناية بالطرق المؤدية اليها [111] .

وكما الحال مع جميع الخلفاء الامويين القديرين سياسيا والمهتمين بالمسائل الدينية ، نجد ان بعض المصادر تميل الى التقليل من اهمية الانجازات التي تحققت في عهودهم ، وتؤكد على حوادث وروايات ليست بذات اهمية ، بل الغاية منها النيل من تلك الاهداف والانجازات التي تحققت على المستويات كافة ، منها مثلا اتهام عبد الملك بن مروان بالبخل فكان يسمى بـ "رشح الحجارة" [112] . ولكن هناك ما يدعونا للاعتقاد بان مثل هذا الادعاء لا اساس له من الصحة ، اذ ان هناك اتجاه لدى المؤرخين المسلمين في اطلاق صفة البخل على أية خليفة نظم شؤون الصرف بصورة كفوءة . وان الكرم الذي كافا به عبد الملك بن مروان قواده واغداقه الاموال لرجال الدين والشعراء تظهران صفة البخل لم تكن موجودة لديه . كما اتهم أيضاً بانه تخلى عن قيمه الدينية بعد ان تولى الخلافة فيروى بانه عندما توفي والده مروان بن الحكم وبشر بالخلافة ، وكان بين يديه مصحف "فاطبقها وقال : هذا فراق بيني وبينك " [113] . ومن الطبيعي ان عبد الملك بن مروان كان يعلم علم اليقين بانه سيتفرغ لادارة شؤون الدولة المختلفة التي تتنظره وسيصرف كل جهده ووقته لتحقيق وحدة الدولة وتحقيق اهدافها ، بعد ان كان قبل الخلافة لديه الوقت الكافي في متابعة الامور الدينية .

وكذلك اتهم عبد الملك بن مروان انه كان ينزعج من امر تقوى الله عندما كان يأمر بها، جاء ذلك في خطب لعبد الملك اثناء وجوده في الحجاز جاء فيها : "الا واني لا اداوي امر هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم قناتكم والله لا يامرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه" [114] ويفهم من هذا النص ان المقصود هم الخارجون عن اجماع الامة وان الغاية الاستقامة . اما انزعاجه من امر تقوى الله لأنه اعلم بنفسه بتقوى الله ومخافته ممن يأمره .

يبدو من هذه الروايات ان بعض المصادر تصور تصرفات عبد الملك ؛ وكأنه تقمص شخصية جديدة بعد اعتلائه الخلافة ، وانه قد تنكر لطريقة حياته الدينية المبكرة ، وقد اخذ بهذه الاراء بعض المستشرقين من امثال فلهاوزن [115] .

والمعروف ان عبد الملك بن مروان كان مجبراً احيانا على التصرف تبعا لما يمليه الموقف السياسي وان هذا التصرف يبدو وكانه متناقضا مع مثله الدينية السابقة ومع ذلك يجب ان لا يبالغ احد في هذا .

اما بالنسبة لضرب الحجاج بن يوسف قائد عبد الملك بن مروان الكعبة بالمنجنيق اثناء محاصرته لعبد الله بن الزبير فيها ، فان هاتين الحادثتين قد استغلتا للنيل من عبد الملك بن مروان ولاسيما وانه كان سابقا قد استنكر مثل هذا العمل في عهد خليفة سابق [116] .

وقد حاول الاستاذ دكسن في تحليله ، ان يوضح لنا الى أي مدى كانت سياسات عبد الملك بن مروان واعماله بعد اعتلائه الخلافة قد تلونت بخلفيته الدينية [117] . وان عبد الملك بن مروان كان مسلما صحيح الايمان وانه بقي ملتزما بقيمه الدينية واعطاها الاولية في حياته كلها وحريصا على وحدة الامة .

خامساً . الميزات السياسية لشخصيته :

يتبين من خلال دراسة حياة الخليفة عبد الملك بن مروان انه كان يمتلك بعض الصفات الشخصية السياسية والتي تعد فريدة من نوعها بين الخلفاء الامويين ؛ وان اقتربت من صفات الخليفة معاوية بن ابي سفيان (41-60هـ) مؤسس الدولة الاموية ، تلك الميزات التي جعلت منه الشخصية القادرة على مجابهة معظم المعضلات التي واجهت الدولة في عهده والتي لولا حنكته السياسية لاصبحت الدولة في مهب الريح ولخرجت الخلافة والسلطة من عائلة بني امية، فالخليفة عبد الملك بن مروان كما وصفه المسعودي [118]كان "يباشر الامور بنفسة ، متيقظا في سلطانه ، حازما في رايه ، لا يكل الامور في اعدائه واهل حربه الى غيره حتى يباشرها بنفسه ، يركب الخطى في كثير من اموره ..." . ويروى المدائني : بان "معاوية احلم وعبد الملك احزم"[119] وامتازت سياسة عبد الملك بن مروان بقوة الارادة والعزم ، فكان يعمل ويجاهد من اجل تحقيق اهدافه ، مهما كلفه ذلك ، ومهما حاول المترددون ان يثبطوا من همته وعزيمته ، فكان يقدم على مجابهة الاعداء بارسال الجيوش ومنازلتهم دون ان يتهيب الصعاب او يخشى المخاطر فمن مواقفه على سبيل المثال ، يقال بانه داهمته اخطار عدة مجتمعة ، منها قتل جبيش بن دلجة قائد جيشه في المدينة لحرب عبد الله بن الزبير ، ودخول ناتل بن قيس قائد جيش الزبير فلسطين ، ومسير مصعب بن الزبير من المدينة لانتزاع فلسطين من سلطان عبد الملك بن مروان ، ثم تهديد البزنطيين ونزولهم المصيصة يريدون دخول الشام . مع كل هذه الانباء والاخطار التي هددت سلامة الدولة الاموية ، فان عبد الملك بن مروان تصرف ازاء كل هذه الاحداث برباطة جأش وبقوة الارادة والعزم فبعث بهدايا واموال الى ملك البيزنطيين وهادنه ، ثم سار الى فلسطين وبها ناتل فقتله ، وفي طريقه هزم جيش مصعب بن الزبير [120] .

وهناك امثلة كثيرة على صفة الحزم التي كان يمتاز بها عبد الملك بن مروان ، فكان تصرفه في مسالة احد اقاربه عمرو بن سعيد الاشدق الذي اعلن التمرد في دمشق في غياب عبد الملك عنها ، فقد تصرف بحزم في هذا الامر ، اذ تحرك بسرعة راجعا الى دمشق وبت في الامر وقضى على الفتنة قبل استفحالها[121] دون ان يمنعه عامل القرابة والصلة ، او مكانة عمرو في الدولة ، وقد عبر عن موقفه هذا امام احد مستشاريه حول التاني في موضوع عمرو قائلا : "العجلة في امره خير من التاني فيه" [122] .

وقد كانت هذه الميزة السياسة في شخصية عبد الملك مثلا درسا روع بها من كانت تحدثه نفسه ان يفعل مثلما فعل عمرو بن سعيد في التمرد على خلافته ، جاء ذلك في خطبه لعبد الملك بعد قضائه على حركة عبد الله بن الزبير : "... هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابة وموضعه موضع ، قال براسه كذا فقلنا ياسيافنا بكذا ... الا وان الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد ، فوالله لا يفعل احد فعله الا جعلته في عنقه" [123] .

تبدو سياسة الحزم والشدة التي امتازت بها سياسة عبد الملك بن مروان ، كانت رد فعل الفتن والمشاكل التي احاطت بالدولة ، فضلا عمّا تلقاه من دروس في حياته ورسخت في اعماق نفسه مثلا الدرس الذي اخذه من مقتل الخليفة عثمان بن عفان عميد الاسرة الاموية ، وقد عزى عبد الملك حدوث تلك الفاجعة الى ضعف سياسة الخليفة عثمان ضد الخصوم [124]. على الرغم مما امتازت به شخصية عبد الملك السياسية من اللجوء الى الشدة والحزم تجاه اعدائه الا انه ربط ذلك بمنطق العقل وقوة التدبير في الامور فقد وصفه ابن طباطبا بانه : "كان لبيبا عاقلا عالما جبارا ثري الهيبة شديد السياسة حسن التدبير للدنيا"[125].

وامتازت شخصية عبد الملك السياسية بانه رجل حرب من الطراز الاول جاء ذلك على لسانه في خطبة له عندما دخل الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير عندما قال : "... ان الحرب صعبة ومرة وان السلم أمن ومسرة وقد ربتنا الحرب وزّيناها فعرفناها والفناها فنحن بنوها وهي أمنا ..." [126] . يظهر ذلك من قيام عبد الملك بقيادة دفة العمليات العسكرية اما بنفسه او الاشراف على تلك العمليات ، فعلى سبيل المثال قام بقيادة جيش اهل الشام سنة (72هـ/ 691م) لقتال مصعب بن الزبير في البصرة ، ولما عرضت عليه زوجته عاتكة بنت يزيد قائلة : "ما رايت خليفة قط غزا بنفسه ، وطلبت منه ان يوجه من ينوب عنه ويقيم في دمشق اجابها قائلا : "والله لو بعثت إلى مصعب جميع اهل الشام لفضهم وفلهم ما لم اكن معهم" [127] . وقاد عبد الملك بن مروان حملة عسكرية بنفسه نحو زفر بن الحارث الكلابي في الجزيرة الذي كان يشكل عمقا سوقيا لمصعب بن الزبير المعتصم في البصرة وبعد سلسلة من المناوشات العسكرية معه انتهى بعقد صلح معه [128] وسار بنفسه نحو فلسطين فأستعادها من ناتل بن قيس والي ابن الزبير [129] .

ويبدو ان عبد الملك بن مروان كان واثقا من نفسه في تحمل ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه في حل المعضلات التي كانت تواجه الدولة في عهده ، وانه اهل لقيادة الامة اذ كان يقول : "والله ما اعلم مكان احد اقوى على هذا الامر مني" [130] .

وامتازت شخصية عبد الملك بن مروان الحربية بانه كان يستخدم فن الدبلوماسية في مجابهة اعدائه حتى تتهيا له الفرصة المناسبة لتحقيق النصر ، ففي مواقف قتالية عدة كان عبد الملك بن مروان قبل الدخول في حرب مع اعدائه ، يلجا الى اسلوب الاستمالة اليه ، ويعرض عليهم طلب الدخول في طاعته ويبذل لهم الاموال ويعرض عليهم الامان ، حرصا منه على حقن دماء المسلمين ولتحقيق الانتصار على اعدائه باقل ما يمكن من الخسائر فعلى سبيل المثال لا الحصر في الوقت الذي كان عبد الملك بن مروان يرتب الامور في الشام لتجهيز الجيش للمسير الى العراق ولقاء مصعب بن الزبير ، فانه اخذ يجري مراسلات مع رؤساء القبائل واشراف اهل البصرة والكوفة [131] . ويرّغبهم بالاموال والاعمال فاخذوا يستعجلونه المسير الى العراق [132] . ووعد ابراهيم بن الاشتر احد ابرز قادة مصعب بولاية العراق[133]. وقد ادت هذه المكافات الى تشتيت قوة مصعب لصالح حملة عبد الملك .

وقبل اللقاء في قتال مع مصعب عرض عبد الملك الامان عليه وقال له بالحرف الواحد: "انه يعز علي ان تقتل ، فاقبل اماني ، ذلك حكمك في المال والولاية" ولكن مصعب رفض العرض واصر على القتال [134] .

ومما امتازت بها سياسة عبد الملك أنه كان يستشير اصحابه وقواده عند تجهيز جيش او قيادة حملة ضد أعدائه ، فكان لا ينفرد في اتخاذ القرارات واصدار الاحكام السياسية ولا سيما في كيفية التعامل مع الاعداء ، فعندما عرض عبد الملك بن مروان على بعض اصحابه فكرة محمد بن مروان بضرورة قبول الامان لمصعب بن الزبير ، وكثر النقاش حولها ، اخذ عبد الملك برأي خالد بن يزيد ، اذ أمر أخاه محمد ان يمضي الى مصعب فيؤمنه ويعطيه ما أراد[135]. وكذلك الحال مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الذي أعلن التمرد في سجستان عام (81 هـ/700م) ، أستشار خالد بن يزيد ودعاه إلى قراءة كتاب الخلع وما به من الجزع، فذكر له خالد : "ان كان هذا الحدث من قبل سجستان فلا تخفه وان كان من قبل خراسان تخوف منه"[136].

يبدو ان عبد الملك بن مروان كان لا يستبد برأيه في أتخاذ القرارات وأنما كان يلجأ الى مشاورة الأخرين من اتباعه فمن قول لعبد الملك " وأعلم أن لك نصف الرأي ولأخيك نصفه ولن يهلك أمرؤ عن مشورة "[137].

ومن سياسة عبد الملك بن مروان العسكرية الاخرى أنه كان يتبع اسلوب المهادنة والموادعة مع اعدائه حتى يجد الفرصة المناسبة لتحقيق اهدافه فمثلا : عندما أخبر عبد الملك بن مروان ان ملك الروم جستنيان الثاني (685-695م) تقدم نحو بلاد الشام بقصد دخلوها ونزل

المصيصة سنة 66هـ/685م اراد عبد الملك مشاغلته ومهادنته فوجه اليه حميد بن حريث الكلبي حاملا اليه هدايا وصالح الجراجمه ودفع لهم اتاوة ورد اسراهم بحيث توقف البيزنطينيون عن غزو الشام ، ثم دس اليهم بعد فترة من الوقت سحيم بن المهاجر حتى تمكن من الوصول الى قائدهم متنكرا وتقرب اليه بذم عبد الملك حتى تمكن بعدها من الاغارة عليه بجيش فقتل منهم اعداداً كبيرة[138].

ومن الميزات السياسة لشخصية عبد الملك بن مروان ، اعلانه العفو عن المخالفين والناقضين للبيعة والمفرقين للجماعة ، فعندما كتب الى الحجاج بن يوسف – والي العراق بعد وقعة دير الجماجم – مع أبن الأشعث – أن يعطي الناس أعطياتهم ، كتب اليه الحجاج بأنهم قد نكثوا وفارقوا الجماعة، وطعنوا على الائمة فكتب اليه عبد الملك : "أنها تجب طاعتنا عليهم بأن نعطيهم حقوقهم"[139].

ومما امتازت به شخصيته السياسية ، حسن اختياره لقواده وولاته فقد اختارهم بالطريقة التي كانت سائدة في زمانه ، فقد اختار أقرباءه اولا من افراد البيت الاموي واستعملهم في المناصب المختلفة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر عين على مصر اخاه عبد العزيز بن مروان [140] . واخوه محمد بن مروان على الجزيرة وأرمينية [141] وابنه سعيد على الموصل [142] . وهكذا .

يبدو ان معظم ولاته كانوا امويين او من قريش ، لانه كان يعتمد بالدرجة الاولى على افراد اسرته لثقته بهم ، ربما بسبب طبيعة المشاكل التي كانت تعاني منها الدولة عند تولي عبد الملك الخلافة ، او بسبب كونهم من قريش مما يجعلهم قادرين على الوقوف موقف المحايد في الصراع القبلي الذي كان دائرا انذاك .

ولكن على الرغم من اتباع عبد الملك لهذه السياسة ، الا انه لم يكن في الطرف الاخر اسير افراد عائلته ، بل كان يراقبهم ويتابعهم ، وعلى استعداد ان يعزل من يشاء منهم اذا اظهر عجزا او عدم كفاءة ، فمثلا قام بعزل خالد بن عبد الله بن اسيد بسبب فشله في مواجهة خطر الخوارج ، كما عزل اخاه امية بن عبد الله بسبب فشله ايضا في انهاء الصراع القبلي في خراسان ، فاضاف ولاية خراسان الى ولاية الحجاج بن يوسف الذي عين المهلب بن ابي صفرة نائبا عنه هناك [143] .

ومن حسن سياسته ايضا في اختيار عماله وولاته على الاقاليم في الغالب من قبائل عرب الشمال (مضر) بينما اختار موظفي بلاطه الى حد كبير من قبائل عرب الجنوب (اليمن).

يبدو ان سياسة عبد الملك تقوم على حفظ التوازن بين الطرفين المتنازعين ، وتجنبا للصراعات القبلية التي تهدد سلامة وامن الدولة .

وأتسمت سياسة عبد الملك بن مروان تجاه ولاته بالواقعية والتصدي لكل مظاهر الاخلال بالامن يظهر ذلك من خلال خطب ووصايا عبد الملك لولاته ، ففي خطبة له في المدينة عام (75هـ/694م) جاء فيها : "لابد لوالي ان يسير في كل زمان بما يصلحه" [144]. وجاء في وصية لاخيه عبد العزيز لما اقره اميرا على مصر – والتي تمثل خلاصة ممتازة لتجاربه في الحكم ومنهجا في كيفية معاملة الحاكم مع الناس – جاء فيها : "ابسط بشرك والن كنفك اثر الرفق في الامور وهو ابلغ بك .... ولا يقفن احدٌ ببابك الا أعلمك (الخاصة) مكانه لتعلم انت الذي تاذن له او ترده .... واذا انتهى اليك بشكل فانتظر عليه بالمشاورة فانها تفتح مغاليق الامور المهمة ، واعلم ان لك نصف الراي ولاخيك نصفه ولن يهلك امرؤ عن مشورة، واذا سخطت على احدا فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنها اقدر منك على ردها بعد أمضاءها"[145] .

وكان يوصي قواده وولاته بحسن معاملة الأسرى وعدم سفك دماء المسلمين ، فعندما اقدم الحجاج بن يوسف على قتل الناس من اسرى معركة دير الجماجم وهدره اموال الدولة كتب عبد الملك اليه قائلا : "... فقد بلغ امير المؤمنين اسرافك في الدماء وتبذيرك الاموال ولا يحتمل امير المؤمنين هاتين الخصلتين لاحد من الناس ، وقد حكم عليك ... في الدماء في الخطا الدية وفي العمد القود وفي الاموال ردها الى مواضعها ثم العمل برايه ... واذا أعطاك الله الظفر على قوم فلا تقتلن مانحا ولا اسيرا" [146] .

وكان عبد الملك بن مروان يحرص ويعمل على ان يقتدي به عماله وولاته ، فقد روى المدائني وغيره ان عبد الملك عندما سمع ان احد عماله قبل هدية امر باشخاصه اليه وعندما حضر ساله قائلا : "اقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : يامير المؤمنين بلادك عامرة ، وخراجك موفور ورعيتك في افضل حال قال : اجب عما سالتك قال : نعم ، قد قبلت" فأمر بعزله"[147].

ومما امتازت به شخصية عبد الملك بن مروان ضبطه لعواطفه واهوائه الذاتية ، وقدرته على العفو ونسيان أضغان الماضي ، بما كان فيه من اذى للاخرين ، ويظهر ذلك من انصافه حتى للاعدائه ، فمثلا لم تحمله خصومته لمصعب بن الزبير او عبد الله بن الزبير ان ينال منهما ، بل كان يمنحهم حقهم ويثني عليهم ، فقد وصف عبد الملك ذات مرة لجلسائه مصعب بانه : "اشد الناس مالا ، وقد جعلت له الامان وولاية العراق ، وعلم اني ساف له للمودة التي كانت بيننا فحمى انفا ، وابى وقاتل حتى قتل" [148] . ويروى ان عبد الملك قال : "لله مصعب لو كان لاخيه سخاؤه وله شجاعة اخيه وشدة شكيمته ، وطمع منها علي ان مصعبا كان شجاعا ابيا ..." [149] . كما ذكر امامه رجلٌ ان مصعب كان يشرب النبيذ فقال له عبد الملك : "كان ذلك قبل ان يطلب المرؤة ، فاما منذ طلبها ، فلو علم ان الماء ينقص مرؤته ما شربه" [150] . ومن عفوه عن اعدائه ان عبد الملك اصدر العفو عن بعض الناس الى جانب جيش مصعب بن الزبير واعطاهم الامان على روحه وماله وولده [151] .

اما ما امتازت به سياسة عبد الملك بن مروان تجاه ال البيت ، فقد استطاع ان يكسب رضا ال البيت الى جانبه ، واحسن معاملتهم ، لهذا لم يحدث في عهده شيء يثير الرأي العام الإسلامي ، فقد أجاد بحسن معاملته لال علي بن ابي طالب وال العباس اعمام الرسول ﴿ﷺ﴾، وربما كان هذا من إحدى أسباب الاستقرار السياسي في عهده . ويبدو ان عبد الملك قد تلقن درسا من بعض الهفوات التي وقع فيها من سبقه من الخلفاء الامويين في إساءة معاملة ال بيت الرسول ﴿ﷺ﴾ كالخليفة يزيد بن معاوية فعمل على تجنب الوقوع فيها فعند مبايعة محمد بن علي بن ابي طالب لعبد الملك بن مروان اعطاه الامان واعطاه واهل بيته واكرمه وكتب الى الحجاج بن يوسف . واليه على الحجاز . بان لا يتعرض لاحد من اصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ [152] . وتعزيزا لهذه السياسة فقد اتاه علي بن عبد الله بن العباس اثناء حج الخليفة عام (75هـ /694م) وشكا له الاضطهاد التي عانته اسرته من جراء سوء معاملة عبد الله بن الزبير لهم لامتناعه عن بيعته ، فأحسن عبد الملك اجابته وحمله وحمل عياله الى الشام وانزله دارا بدمشق ولم يزل يجري عليه ايامه كلها [153] .

ولقد امتازت سياسة عبد الملك بن مروان تجاه القبائل العربية بميزة الموازنة في التعامل مع القبائل في الدولة الاموية ، بهدف الحفاظ على وحدة الدولة ، اذ جعل نفسه فوق التيارات والعصبيات القبلية ، فقد عمل جاهدا للتخفيف من حدة العصبية بين القبائل اليمانية والقيسية ، التي كانت عماد المجتمع العربي . فكان يلتمس منع اشتباكهما ودفع الدية على قتلاهما . وكان يعمل على الاصلاح ما بين زعمائهم [154] وحتى بعض شعرائهم [155] ومن المعروف ان عبد الملك بن مروان منذ توليه الخلافة حارب القيسية بكلب ، ورمى قرقيسياء – مركز تجمعهم – بالمنحنيق [156] . غير ان ذلك لم يكن بقصد التعصب لكلب ، وانما بسبب ان كلبا وقتئذ مروانية ، وقيس زبيرية [157] . ولكن بعد ان صالح عبد الملك بن مروان زفر بن الحارث . زعيم القيسية . قربه هو وابنائه ، واصبحت القيسية جزءا من الجيش الاموي[158]. وصرف لهم العطاء الذي حرموا منه اثناء الصراع مع اليمانية ، كما اصبح لشعراء مضر حق الدخول عليه فمدحه جرير والفرزدق [159] . كما كان يمدحه الاخطل الشاعر اليماني[160] .

يبدو ان سياسة عبد الملك بن مروان تجاه القبائل العربية ، لم تقم على التعصب لفريق دون اخر ، وانما كان يمسك العصا من وسطها ، ولا يبدي تحيزا بل كان يستخدم من القبائل اليمانية ولاتاً منهم الحجاج بن يوسف الثقفي الذي هو قيسي .

وامتازت شخصية عبد الملك بن مروان السياسية بالواقعية فقد سلك طريقة الحاكم الواقعي الذي لم يكن يرى سببا في تغيير السياسات الموروثة مالم تفرض الاحداث ذلك فرضا لا ضرورة منه ، وقد كان يدرك ان لكل عصر ظروفه ومعطياته . جاء ذلك من خلال بعض أفعاله واقواله

ففي خطبة بين الناس اردف قائلا : "انصفونا يامعشر الرعية تريدون منا سيرة ابي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في انفسكم بسيرة رعية ابي بكر وعمر ، نسال الله ان يعين كلا على كل"[161].

وكان في سياسة عبد الملك بن مروان دعوة للعمل على وحدة الجماعة في الامة يظهر ذلك بوضوح في اعماله وتصرفاته واقواله ، ففي وصيته لابنائه منهم الوليد قوله: "...وانهاك واخوتك من الفرقة ، وكونوا اولاد ام واحدة ، وكونوا في الحرب احرارا وللمعروف منارا ، وان المعروف يشيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالمحبة" [162] . وعندما كتب عبد الملك الى الحجاج بن يوسف ان يصف له الفتنة فكتب اليه الحجاج ان : "الفتنة تشب بالنجوى وتحصد بالشكوى وتنج بالخطب" فكتب اليه عبد الملك : انك قد اجبت واحسنت الصفة ، فان اردت ان يستقيم لك من قبلك بالطاعة فخذهم بالجماعة واعطهم عطاء الفرقة والصق بهم الحاجة" [163] .

يبدو مما تقدم ان عبد الملك بن مروان قد امتلك كل مؤهلات : الخليفة ، السياسي ، القائد الاداري والعالم ، فارتقى بذلك كما روى ابن عبد ربه[164] مرتبة الساسة الثلاثة العظام من خلفاء بني اميه ، وهم : معاوية بن ابي سفيان ، وعبد الملك ، وابنه هشام .

الخاتمة

1. لقد اكتسب عبد الملك بن مروان الكثير من مظاهر شخصيته من خلال نشأته وترعرعه في محيط سياسي وديني حيث شهد في حياته احداثا جساما كان لها تاثيرا في تكوين شخصيته السياسية والفكرية .
2. كان عبد الملك بن مروان رجل دولة من الطراز الاول ، بفضل المؤهلات القيادية والادارية والفكرية التي امتازت بها شخصيته على الرغم من الظروف والاخطار التي لازمت عهده والتي كانت تستهدف النيل من وحدة الدولة .
3. لقد قدر لعبد الملك بن مروان قبل خلافته او بعدها ان يكون مولعا بالعلماء والمحدثين الذين عاصروه بحكم ثقافته الدينية ومؤهلاته العلمية حتى عدّ من العلماء والفقهاء .

الهوامش

(1) ابن سعد ، محمد بن سعد بن منبع البصري (ت 220هـ/835م) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، دار بيروت (بيروت1957–1958) ، 165/5 ؛ البلاذري ، احمد بن يحيى (ت279هـ/892م) ، تحقيق غريغزولد : 1883 ، ج11 / 151 ؛ ابن كثير ، اسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت774هـ/1372م) ، البداية والنهاية (بيروت : 1966) ، 16/9 ؛ القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت821هـ/1418م)، مأثر الاناقة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج (بيروت ، 1980) ، 126/1 .

(2) ابن سعد ، ن.م ، 165/5 ؛ ابن بكار ، الزبير (ت256هـ/869م) ، الاخبار الموقفيات ، تحقيق سامي مكي العاني (بغداد : 1973) ، 399 ، البلاذوي ، انساب ، 151/11 ؛ اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت : 284هـ/897م) ، تاريخ اليعقوبي ، (بيروت : د/ت)، 320/2؛ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م)، التنبه والاشراف، مكتبة الهلال (بيروت : 1981) ، 286.

(3) ابن خياط ، ابو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت240هـ/854م) ، التاريخ ، تحقيق اكرم ضياء العمري (نجف : 1967) ، 293/1 ؛ البلاذري ، انساب ، 264/11 ؛ الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/923م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، (بيروت : 1980) ، 418/6 ؛ ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد (ت327هـ/938م) ، العقد الفريد ، تحقيق: احمد امين واخرين ، (القاهرة : 1965) ، 339/4 .

(4) ابن سعد ، الطبقات ، 166/5 ، الطبري ، تاريخ ، 1173/6 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت911هـ/1494م) ، تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (بغداد ، 1986)، 143 .

(5) ابن خياط ، تاريخ ، 293/1 .

(6) ابن سعد ، الطبقات ، 30/5 ؛ ابن خياط ، ن.م ، 257/1 ؛ ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م) ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة (القاهرة : 1969) ، 155 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، مكتبة المثنى ، بغداد (القدس : 1936) ، 159/5 ، اليعقوبي ، تاريخ ، 321/2 .

(7) الطبري ، تاريخ ، 419/6–420 ؛ ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي اكرم (ت630هـ/1232م) ، الكامل في التاريخ ، ط2 ، دار الكتاب العربي (بيروت : 1981)، 103/4 ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، 358 .

(8) ابن خياط ، تاريخ ، 258/2 ؛ المسعودي ، التنبه ، 289 ؛ البلاذري ، انساب ، 153/11 ، ابن كثير ، البداية ، 62/9 .

(9) الطبري ، تاريخ ، 530/5 ؛ 536 .

(10) ن.م ، 536/5 .

(11) ابن خياط ، تاريخ ، 196/1 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 166/5 .

(12) ابن سعد ، ن.م ، 167/5 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 44/4 .

(13) ابن عبد الحكم ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ/870م) ، فتوح مصر واخبارها (ليدن : 1920) ، 159 ؛ الحميري ، ابو عبد الله حمد بن محمد بن عبد الله (ت900هـ/1494م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار (بيروت : 1975) ، 554 .

(14) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : 1984) ، 67/3 .

(15) البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رضوان (بيروت : 1978) ، 185.

(16) البلاذري ، انساب ، 18/11 ، اليعقوب ، تاريخ ، 327/2 .

(17) ابن سعد ، الطبقات ، 172/5 ؛ البلاذري ، ن.م ، 190/11 ، ابن الاثير ، الكامل ، 41/4 ؛ انظر : فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريدة (القاهرة : 1968) ، 208 .

(18) ابن قتيبة ، المعارف ، 155 ؛ البلاذري ، انساب ، 152/11 .

(19) ن.م ، 155 ؛ البلاذري ، ن.م ، 152/11 .

(20) ابن سعد ، الطبقات ، 166/5 ؛ ابن خياط ، تاريخ ، 196/1 (الذي يعطي سنة 50هـ/670م) .

(21) دكسن ، عبد الامير عبد حسين ، الخلافة الاموية (بيروت : 1973) ، 31 .

(22) مجهول ، مؤلف ، العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، نشره دي خويه (ليدن : 1869م) ، 277/1 .

(23) ابن سعد ،الطبقات، 166/5-167 ؛ ابن خياط ، تاريخ ، 228/1 ؛ البلاذري ، انساب، 126/5-127.

(24) الطبري ، تاريخ ، 486/5-487 .

(25) الريس ، ضياء الدين ، عبد الملك بن مروان والدولة الاموية (القاهرة : 1969) ، 26.

(26) ابن سعد ، الطبقات ، 166/5-167 .

(27) البلاذري ، انساب ، 149/5-150 .

(28) الطبري ، تاريخ ، 610/5-611 .

(29) ابن خياط ، تاريخ ، 257/1 ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، المنسوب لابن قتيبة (مصر : د/ت) ، 13/2 ؛ البلاذري ، انساب ، 149/5-150 جـ11 164-165 .

(30) الطبري ، تاريخ ، 610/2 .

(31) ابن سعد ، الطبقات ، 30/5 ، ابن خياط ، تاريخ ، 257/1 ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، 155 ، البلاذري، انساب ، 159/5 .

(32) السيوطي ، تاريخ ،

(33) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 9/3 .

(34) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 62/9 .

(35) ن.م ، 62/9 .

(*) بريدة بن الحصيب الاسلمي اسلم مبكراً وشهد المشاهد كلها واقام بالمدينة ثم خرج الى غزو خراسان توفي بمرور عام 62هـ (ابن الاثر ، الكامل ، 3 هامش ص31) .

(36) ابن بكار ، الاخيار الموقفيات ، 211 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 130/2.

(*) عروة بن الزبير بن العوام من بني كلاب روى الحديث عن ابيه واخرين ، ثقة كثير الحديث فقيه ، عالم ، مأمون (ابن سعد ، الطبقات ، 182/5) .

(37) المسعودي ، مروج ، 92/3 .

(38) السيوطي ، تاريخ ، 216 .

(39) ابن سعده الطبقات ، 166/5 ؛ بنفس المعنى (ابن قتيبة ، عيون الاخيار ، 307/1) .

(40) الزجاجي ، ابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (ت337هـ/948م) ، مجالس العلماء ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (الكويت : 1962) ، 208 .

(41) ابن عساكر ، عبد القادر بن احمد بن مصطفى الرومي الدمشقي المعروف بن بدران (ت1346هـ/1927م) ، تهذيب تاريخ ، ابن عساكر ، وقف على طبعه احمد عبيد ، ط1 (دمشق : د/ت) ، 139/7 .

(42) ن.م ، 148/7 .

(43) المسعودي ، مروج ، 94/3-93 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 427/2 .

(44) الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ/966م) ، كتاب الاغاني ، تحقيق: محمد علي البجاوي (بيروت : 1970) ، 171/6 .

(45) ابن بكار ، الاخبار الموقفيات ، 211 ، المسعودي ، مروج ، 115/3 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 171/5.

(*) جابر بن عبد الله الانصاري هو من الفقهاء والصحابة الذين بايعوا عبد الملك بن مروان بالخلافة ، (ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، 14/1) .

(46) ابن سعده الطبقات ، 299/5 .

(47) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 230/2 .

(*) قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، كان لابيه صحبة ، وكان ثقة مأمون كثير الحديث سمع من جماعة من المحدثين ، وكان قرين عبد الملك في العلم والعبادة (ابن سعد ، الطبقات ، 176/5) .

(48) البلاذري ، انساب ، 65/11 .

(49) ن.م ، 63/11 .

(50) ابن عربي ، الشيخ محيي الدين (ت638هـ/1240م) ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار (بيروت : 1968) ، 170/1 .

(51) ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد ابراهيم البنا واخرين (القاهرة : 1970) ، 128/1 .

(52) ابن الاثير ، الكامل ، 29/4 ؛ القلقشندي ، مآثر الاناقة ، 190.389/6 ؛ الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود ، (ت282هـ/895م) ، الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال (القاهرة : 1960) ، 323-324 .

(53) ابن الاثير ، ن.م ، 102/4 .

(54) السيوطي ، تاريخ ، 216 .

(*) ام الدرداء : هجيمة بنت حيي الوصابية زوجة الصحابي أبي الدرداء وتسمى ام الدرداء الصغرى ، كان لها نصيب وافر من العلم والعمل ولها حرمة زائدة بالشام (الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت1089هـ/1671م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب (بيروت ، د/ت) ، جـ 900/1) .

(55) التوحيدي ، ابو حيان علي بن محمد العباسي (ت387هـ/997م) ، الامتاع والمؤانسة ، (القاهرة : 1933-1944) ، 70/2 .

(56) ابن الاثير ، الكامل ، 29/4 .

(57) المسعودي ، مروج الذهب ، 245/3 ، المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت : 285هـ/898م) الكامل في اللغة والادب ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة: د/ت) ، 101/4 .

(*) روح بن زنباع الجذامي : كان لابيه صحبة وكان من اجل الناس عند عبد الملك بن مروان ، وكان صادقاً عفيفاً مناصحاً ومحباً لبني امية ، وهو من الناصحين لعبد الملك من مروان بعدم خلع عبد العزيز بن مروان من ولاية العهد (ابن سعد ، الطبقات ، 233/5 ؛ المسعودي ، مروج ، 110/3 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، 101/4) .

(58) البلاذري ، انساب ، 75/11 .

(59) ابن سعد ، ن.م ، 234/5 ؛ ابن الاثير الكامل ، 101/4 .

(60) ابن سعد ، ن.م ، 234/5 .

(*) رجاء بن حيوة الكندي : هو من الفقهاء المقربين من الخلفاء الامويين: عبد الملك بن مروان وسليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، (انظر : ابن سعد ، الطبقات ، 247/5-248) .

(61) البلاذري ، انساب ، 193/11 ؛ ابن سعد ، ن.م ، 247/5 249 .

(62) ابن سعد ، ن.م ، 246/5 ؛ الطبري ، تاريخ 550/6 – 551 ؛ ابن قتيبة ، الامامه والسياسة ، 94.93/2 .

(63) اليعقوبي ، تاريخ ، 280/2 ، ابن الطقطقي ، محمد بن علي (ت709هـ/1309م) ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، مراجعة محمد عوض وعلي الجارم (مصر : د/ت) ، 122 .

(64) البلاذري ، انساب ، 195/11 .

(65) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، 208 .

(66) جواتيان ، س.د ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، تعريب عطية القوصي ، (الكويت : 1980) ، 43 .

(67) دكسن ، الخلافة الاموية ، 34-35 .

(68) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 62/9 ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 216 .

(69) ابن سعد ، الطبقات ، 234/5 .

(70) البلاذري ، انساب ، 163/11 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، 62/9 ؛ السيوطي ، تاريخ ، 216 .

(71) البلاذري ، ن.م ، 163/11 ؛ الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، 88 .

(72) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 62/9 .

(73) انساب ، 165/11 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 243/5 .

(74) الامامة والسياسية ، 17/2 .

(75) البلاذري ، انساب ، 163/11 .

(76) السيوطي ، تاريخ ، 217 .

(77) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 62/9 ؛ السيوطي ، ن.م ، 217 .

(78) مرج راهط : موضع في غوطة دمشق من ناحية المشرق ، (ابي الفداء ، عماد الدين اسماعيل (ت732هـ/1331م) ، تقويم البلدان ، (باريس : 1840) ، 230) ، وقعت فيه معركة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهري عام 64هـ /683م (انظر: البلاذري ، انساب ، 136/5-139) .

(79) البلاذري ، ن.م ، 163/11 ؛ ابو عبيدة ، معمر بن المثنى ، (ت209هـ/824م) ، نقائض بين جرير والفرزدق ، (القاهرة : 1953) ، 21 .

(80) دكسن ، الخلافة ، 35 .

(81) ابن سعد ، الطبقات ، 233/5 ؛ اورد (ابن كثير ، البداية ، 93/9) نصا مشبها لذلك .

(82) البلاذري ، انساب ، 170/11 .

(83) ن.م ، 172/11 .

(84) ن.م ، 181/11 .

(85) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، (ت255هـ/868م) ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون (بيروت : 1968) ، 144/1 .

(86) الجابري ، محمد عابد ، العقل السياسي العربي ، (بيروت ، 1990) ، 323 .

(87) الطبري ، تاريخ ، 328/2 ، 331 ، 55/4 ، 163 .

(88) محمد عمارة ، رسائل العدل والتوحيد ، دار الهلال (القاهرة : 1971) ج1 /82-86 ؛ الجابري ، العقل السياسي ، 308 .

(89) ابن سعد ، الطبقات ، 170/5 ؛ البلاذري ، فتوح ، 453 ؛ الطبري ، تاريخ ، 256/6.

(90) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية (بيروت ، د.ت) ، مج 2 ، ج296/1-297.

(91) انظر عن الحروب بين الامويين والبيزنطيين في عهد عبد الملك بن مروان :
Santioro, Anthoy R. Bysantium and the Arabe during the Isaurian Period 717-802 A.D, New Brunswick, 1978, p.131-152.

(92) البلاذري ، انساب ، 253/11 ؛ ابن كثير ، البداية ، 27/9-28 ؛ الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م) ، معجم البلدان ، (بيروت : 1955-1957) ، 323/2-324 .

(93) السيوطي ، تاريخ ، 219 .

(94) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، 311 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 4/400-401 .

(95) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 4/210 .

(96) ابن خياط ، تاريخ ، 1/347-348 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 5/170 .

(97) نعمة ، هادي خضير ، الحياة السياسية والادارية في الحجاز في العصر الاموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1989 ، ص196 .

(98) اليعقوبي ، تاريخ ، 2/273 .

(99) ابن سعد، الطبقات، 5/332؛الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد(ت450هـ/1058م)، الاحكام السلطانية (بغداد : 1989) ، 175 .

(100) ابن سعد ، ن.م ، 5/170-171 ؛ الازرقي ، محمد بن عبد الله (مختلف في تاريخ وفاته) ، اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، (مكة المكرمة : 1965) ، 2/348 .

(101) الازرقي ، ن.م ، 1/253 ، 255 ؛ السيوطي ، تاريخ ، 219 .

(102) ن.م ، 1/244 .

(103) الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ، (ت207هـ/822م) ، المغازي ، تحقيق : مارسدن جونس ، (بيروت : د/ت) ، 2/842 ؛ ابن اعثم ، ابو محمد بن احمد بن عثمان الكوفي، (ت314هـ/926م) ، كتاب الفتوح ، (بيروت : 1972) ، جـ 2/55 .

(104) ابن خياط ، تاريخ ، 1/327 ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، 2/272 ؛ المسعودي ، مروج ، 3/83 .

(105) ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد ، (ت365هـ/975م) ، كتاب البلدان (ليدن : 1885م) ، 101 ؛ ابن كثير ، البداية ، 8/280 .

(106) الحميري، الروض المعطار ، 69 ؛ محمود ابراهيم ، فضائل بيت المقدس ، (الكويت: 1985) ، 69 .

(107) المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت380هـ/990م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، باعتناء دي خوية (ليدن : 1906) ، 159/168 .

(108) جواتيان ، التاريخ الاسلامي ، 45 .

(109) فلها وزن ، تاريخ الدولة العربية ، 209 .

(110) دكسن ، الخلافة ، 41 .

(111) مجهول، مؤلف، العيون والحدائق، 4/3؛ المقدسي، احسن التقاسيم، 344 وما بعدها .

(112) ابن قتيبة ، المعارف ، 105 ، القلقشندي ، ماثر الاناقة ، 1/122 .

(113) ابن الطقطقي ، الفخري ، 88 .

(114) ابـن الاثيـر ، الكامـل ، 104/4 ؛ العسـكري ، ابـو هـلال الحسـن بـن عبـد الله ، (ت259هـ/872م) ، الاوائل ، (بيروت : 1987) ، 171 .

(115) تاريخ الدولة العربية ، 208–209 .

(116) ابن سعد، الطبقات، 167/5؛ابن خياط،تاريخ ، 224/1 ؛ البلاذري ، انساب،360/5.

(117) انظر التفاصيل : الخلافة الاموية ، 36–39 .

(118) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، 289 .

(119) المسعودي ، مروج الذهب ، 98/3 ؛ السيوطي ، تاريخ ، 221 .

(120) انظر : المسعودي ، ن.م ، 98/3 ؛ السيوطي ، ن.م ، 221 .

(121) ابـن سـعد ، الطبقـات ، 28/5–29 ؛ الـدنيوري ، الاخبـار الطـوال ، 280–281 ؛ المسعودي ، ن.م ، 234/5 .

(122) ابن سعد ، ن.م ، 234/5 .

(123) البلاذري ، انساب ، 177/11–178 .

(124) ابن سعد ، الطبقات ، 232/5–334 .

(125) ابن الطقطقي ، الفخري ، 88 .

(126) القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم ، (ت356هـ/966م) كتاب الامالي ، تحقيق : محمد عبد الجواد الاصمعي ، (بيروت : د/ت) ، 11/1 .

(127) البلاذري ، انساب ، 335/5 .

(128) ن.م ، 344/5–345 .

(129) ن.م ، 344/5–345 .

(130) ن.م ، 422/6 .

(131) ن.م ، 322/5 ، الاصفهاني ، الاغاني ، 122/19 .

(132) ن.م ، 324/5 ؛ الاصفهاني ، ن.م ، 123/19 .

(133) ن.م ، 337/5 .

(134) الطبري ، تاريخ ، 158/6–159 ؛ البلاذري ، ن.م ، 339/5 .

(135) البلاذري ، ن.م ، 5 / 345 ، أبن أعثم ، الفتوح ، 6 / 266 .

(136) الطبري ، تاريخ ، 239/6 ؛ ابن اعثم ، ن.م ، 127/7 – 128 .

(137) مجهول ، مؤلف (ق : 11م) ، تاريخ الخلفاء ، نشره بطرس غريازنيوليح ، (موسكو: 1967) ، 175 .

(138) البلاذري ، ن.م ، 5/299-300 ؛ فتوح البلدان ، 164 .

(139) البلاذري ، ن.م ، 11/193 .

(140) ابن خياط ، تاريخ ، 1/392-393 ؛ البلاذري ، ن.م ، 5/45 .

(141) ابن قتيبة ، المعارف ، 155 ؛ البلاذري ، ن.م ، 5/168 .

(142) البلاذري ، فتوح ، 322 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، 2/669 .

(143) البلاذري ، انساب ، 11/194-195 ، 266-167 ، 310-311 .

(144) ابن سعد ، الطبقات ، 5/173 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 4/90-91 .

(145) ابن الاثير،الكامل، 4/102؛ابن الطقطقي: الفخري، 126؛ البلاذري،انساب،11/175.

(146) المسعودي ، مروج ، 3/133-134 .

(147) ن.م ، 3/118 ؛

(148) البلاذري ، انساب ، 5/345 .

(149) ن.م ، 5/347 .

(150) ابن الاثير ، الكامل ، 4/104 .

(151) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، 311 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 4/207، 385

(152) الدنيوري ، ن.م ، 311 ، اليعقوبي ، تاريخ ، 2/304 ، ابن عبد ربه ، ن.م ، 4/207 ، 385 .

(153) اليعقوبي ، ن.م ، 2/274 ؛ المسعودي ، مروج ، 3/76-77 . حاله مشابهه عندما توجه محمد بن الحنيفة إلى بلاد الشام كتب عبد الله بن عباس إلى عبد الملك بن مروان بأنه توجه اليك رجل منا لا يبدا السوء ولا يكافئ على الظلم ... فاحفظنا فيهم ، فاجاب عبد الملك دعوته . (ابن أعثم ، فتوح ، ج6 ، ص241-242) .

(154) الاصفهاني ، الاغاني ، 17/114 - 116.

(155) ن.م ، 7/69 .

(156) البلاذري ، انساب ، 5/301-308 .

(157) ن.م ، 5/308 .

(158) ن.م ، 5/314 .

(159) الاصفهاني ، الاغاني ، 7/66 ، 172 .

(160) البلاذري ، انساب ، 5/306 .

(161) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 1/9 ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، 1/265 .

(162) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 67/9 ؛ وانظر نص مشابه (ابن أعثم ، فتوح مصر، مجلد 3 ، جـ 5/148–149) .

(163) المسعودي ، مروج الذهب ، 119/3 .

(164) العقد الفريد ، 401/4 .